لنشرب قهوتنا مرتين

قصص قصيرة

عمار السوائي

إصدارات الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية للشباب

إصدارات الأمانة العامة لجائزة رئيس الجمهورية للشباب

إشراف عام

أ. فؤاد منصور الروحاني

أمين عام الجائزة

مراجعة لغوية وإشراف فني

عزيز الماوري

زياد القحم

هشام محمد

التصميم والإخراج

عادل الماخذي

لوحة الغلاف للفنان : فان جوخ

رقم الإيداع في دار الكتب - صنعاء

(121/2015م)

الطبعة الأولى 2015م

هذا الإصدار ضمن الرعاية التي تقدمها الجائزة للفائزين في مرحلة مابعد الفوز

الإهداء

- الشاهق في الروح / حين تساميتَ إلى الله، تمنيتُ لو ارتحلنا سوية .. (رحمة الله عليك يا والدي) .

- أمي ..
لماذا كل ما تلامسينه ينبتُ المطر؟
ربما كنتِ غيمة.
- أشقائي الخمسةَ .. ليُتمِ في أعينكم تنتظرون الفرح
- الأحبة والأصدقاء .. تظلّون هالة الأمان التي تُظلِني

قبل أن أسمهِ إهداءً، أُضيف ..
المُعدمون من البهجة، هناك شيء يخصكم في الداخل

نصوص هذه المجموعة كتبت قبل عام ٢٠٠٥م،
باستثناء نصي" غصة، الحبيبات الورق "

اصتدافات سردية

(1)

في المنفى بما يفوق قصيدة ..

امتطى شاعرٌ شارعًا مرتبًا – ينزِّهُ الناس فيه أوجهًا حمراء منقوطة بالنمش، وحيوانات المنازل.

على الرغم من انشغاله بغربة طويلة – استدانت منه وقتًا سيئًا، لتمرنه على التواطن – إلا أنه استمر المبعثر ذاته.

دلف إلى كابينة هاتفٍ عمومي وخابر أمه في الوطن البعيد عنه كـ منفى، أخبرها : كيف أنه ما زال يستفرغ الحب السريع، وينسى إضافة مكعبات الثلج لكأس المساء، وأنه يستمر بارتباكه الغريب كلما قرَّر التسوق، فالمعروض لديهم سلعٌ معلبة، ونسوة باردات .. يُعلِّقن العُري ببذخ، يسرفن بالرقص داخل الآلات الموسيقية الصاخبة، ويمنحنَّ القُبل والسعادة – كـ السجائر الرديئة – بلا أشواق إضافية، وغالبًا ما يَعْلَقنَ بأحضانِ رجلٍ عارٍ كالنشيد المؤدلج.

" الغزير من الضوء، الذي يخلون سبيله في كل شوارعهم ليلاً، يُقلق الغرباء، وساكني الأرصفة ". قال لها ذلك .. وكان الشاعر قلقًا.

في إحدى الأماسي استضافته قصيدة، مدَّ يُمْناهُ إلى قلمه لاستكتابها، وهناك اكتشف غياب أصابعه ..

مجدداً ربما نسيَها عالقةً على سماعةِ الهاتفِ العمومي في الشارع المرتب.

(2)

ذلك الطفلُ الذي تركته أمه في حقيبة المدرسة ونبهته : " انتظر ولا تبُارح" .. انتظرها حدَّ التعب.

الرصيفُ الذي يعرفه انسحب من تحت حقيبته بخفة، ثم استقلَّ جملاً نحو المدينة، السماءُ تحولت لشيءٍ أشبه بالمظلة، أقلعت عن التباهي بحِيَلها السحرية، فقط ترشُّ الغيم، وتداور النهار والأماسي، وتتخلى عن انتباهها للماء.

وَجَدَ الطفلُ قلبَه مثلثاً، وروحه استطالت كـ أقلام الحبر، فكرَ أنه بدأ بالتحول لشيءٍ مدرسي، ولم تَعُدِ الحقيبة آمنة، تفهم حاجة الحقائب للأطفال، ولم يتفهم كيف أمه بارحتهُ لِيَكبُر، قرر مغادرة الحقيبة بحثاً عن الرصيف / أو لحاقًا به.

حين أطلَّ برأسه منها، وجد القرن الحادي والعشرين (حيث الأمهات ينجبن الناس كبارًا، والحقائبُ صارت أحافير متحفية).

(3)

السرُّ الذي أخفاه ذلك الرجل، أنه جلس قرب جنيةٍ نائمة .. أغمض عينيه من تعب الشرف الوظيفي، ومن بساطته المعدمة التي تطحن فيه الحاجةَ بالجوع، فقرر أن يتوب عن نزاهته، وحين فتح عينيهِ وجد نفسه على كرسي السلطة.

لما عاد إلى منزله في المساء شاهد جدراناً أخرى، وإنارة أبهى، وأثاثاً أفخر، وخزانة حديدية فتحها على عجل .. وجهه القديم كل ما كان محشوراً فيها، الجنية لم ترد حرمانه من فرصة العودة إلى ماضيه النزيه، أوصد باب الخزانة لتتسع جدران المنزل أكثر.

ذات ليلة أفاق المسئول فزِعاً وقد قاسمته الزوجة والكوابيس المزعجة مفارش النوم الحريرية الثمينة، تذكر وجهه المحشور في الخزانة الحديدية، اشتاق لضميره المعطر وثيابه الخشنة، اشتاق أن ينام هو وامرأته فقط على الأرض الرطبة، أن يمارس معها الحب حتى ينتهي من لذته، لقد ضاق من الضمير الثقيل، لو استمر بحمله لانتهت به الحال إلى الإعاقة، ضاق من رائحته بالغة النتانة، وماركات ملابسه العالمية، سيذهب للالتصاق بوجهه دون الاعتذار له، لا وقت ليهدره، بعدها سيمارس ليلة ساخنة مع امرأته.

وجد وجهه محشوراً داخل الخزانة الحديدية، حين حاول الالتصاق به، وجده ضيقاً وصغيراً كـ نملة، وجهه ما زال كما هو لم يتغير، كانت المشكلة في رأسه، لقد أصبح كبيراً على وجهٍ قديم، قديم جداً .. كـ قدِم النزاهة.

(4)

رأيتُ في المرآة أنفي وقد صار مدوراً كـ حبة طماطم، وشعري الكث، ومزيل الرائحة خالياً من الزغب.

ورأيتُ صبراً جامحاً على إيجار المنزل ولقمة العيش وعلى ألوان العلم الوطني.

شاهدتُ صوتًا ينبتُ بعشوائية خارج فمي، يمنعني من التدخين ومن الصلاة السهلة، ثم حين باعدتُ بين فكيَّ ..

بعدها لجأتُ للكتابة، لا شيء يستطيعه أحدنا حين لا يجد لسانًا تخصه داخل فمه.

(5)

" كان يموت جداً "

حدثني بأنها عبارة معقوفة، تحتاج بعض المثابرة لتتحول إلى شيءٍ ممكن، وقريب من المعنى.

الصباح ينهض باردًا، العصافير معطلة، الساعات الحائطية ستقبل بأي وظيفة غير الدوران بعقاربها حول مراكز وهمية، الأحذية أبرمت اتفاقًا مع الخطى / يشبه انقلاباً على سلطة القدم.

وأنا فضلتُ أن أتجنب مزاجيته بانتحال المودّة تجاهي، كان يمتلك فكرة مهلهلة، وشهادة مزاولة مهنة، والاثنتان – الفكرة والوثيقة – تبديان

بلادة واضحة.

أرسل ملاحظة ختامية :– " سأموتُ – يا صديقي – جدًا ".

(6)

جثة التسعين .. غرُز الخياط عليها لا تكفي لرتق ثقوبها القديمة، علاوة على أن الصدأ يحفز نتوءاتها.

الجراح أغفل ترك إمضاءة أسفل الروح، وترك الرتاج مفتوحًا.

جثة .. على سرير بارد، وفي مشرحة متجمدة / أشبه بقطعة ثلج تمرست برودتها دون العبور على قطب.

قسم الطوارئ مزدحمٌ بالحمى، والطبيب انشغل بتوفير الأدوية وتأوهات الهياكل الجلدية، وبتعبئة بالونات الدم بالفئات الرائجة، ثم اتجه لوشم المكان بالقليل الذي لا يكفي من الأكسجين.

أمام الباب الخارجي بقعتان من الزيت اللزج، في الأولى سقطت قطعة حلوى من كفِّ طفلةٍ تعبة، حين سبق الوجع – إلى القلب – الشهية.

جثة التسعين، والمزيد من البرد – لا علاقة للحلوى بسقوط الأطفال.

كانت هذه الفرصة التي يصدف أن يمنحها الموت بإنسانية، المهم أن نموت كما يجب.

(7)

وما زلنا نشدُّ وثاق النشيد، فإن استيقظ أحدكم يومًا ولم يجد من حضوره ما يستعين به على الغياب المرّ وقهوة الحنظل التي تملأ مجرى فمه، فليقل:

(ربما كنتُ فيكم رسولاً، فهلّا رجمتم خطايا الرسول !!).

بين الزناد والموت .. مسافة ضيقة

"ثائرة" كانت فيما مضى سلاح الثورة الضارب، وكانت الجمال الذي لا يشقُّ له غبار؛ في ماضي مجدها جعلت ما يقارب العشرة من جنرالات الجيش يتبوَّلون على ثيابهم –وهي تحمل بيمناها قنبلة حية منزوعة الفتيل، وبيسراها قصاصة ورقية تلت منها مطلباً وحيداً (مساواة قبلة المرأة برصاصة المحارب).

"ثائرة" الوردة التي كلما عبرت الحي رجفت أَلْسِنَةْ الرجال بالكلام، وقلوبهم بالحسرة.

– " قوامها .. استعارة أنثى شاهقة بساطة الطين وفتنة المساء " .. هكذا أسطرها رجلٌ تحسر، ليعقبهُ آخر: " جبينٌ لك أن تقرأ ميلاد الحياة على صفحته، لولا عتبة دارها المنخفضة ما كان لينحني ".

تزوجت بمحاربٍ آخر، فقد عيناً بشظيةٍ طائشة، وكسب أخرى حين قدمت له العون على أرض المعركة. اعتشقا عميقًا، وقبل أن يذوب عبق زيجتها القصيرة بمقتله كان طفله قد تكون في أحشائها.

ثائرة كانت الأنثى المولودة بكبرياء النخيل، والوحيدة التي جرى البارود في دمها ساخناً يطلق البندقية. وقفت في وجه الحاكم المنتدب، نظرت

في عينيه المحمرَّتين، ثم بصقت على ملامحه الوحشية بعبارتها الشهيرة: (لرجالنا ألف حاجة وسبب لحمل السلاح، ولنسائنا كذلك، حتى لو وفرتم لنا لقمة الخبز وأمان الحديث معكم وجهاً لوجه) .. اصطحبها الضابط معه ورحل، عادت إلى الحي على نقالة جثث، بجسدٍ استعان حتى النهاية بكرسيٍ متحرك، وبروحٍ فسيحة.

لم تكن تذُق للرجال حباً لولا أن فتنها ذلك المحارب بقوله: (إن عيناً تعيش على مرأى وطن مغتصب، هي ترفٌ لا حاجة لي به) .. وكان ذلك الصخب الفدائيّ هويَّة الرجل المناسب، فكان لها، وكان ولدها منه؛ وببساطةٍ أيضاً كان موتُه واقفاً في مدخل الحيّ، ينتظر انتهاء مراسيم العرس.

منذ الأول وهي تدرك أن الهدنة بينه وبين الحياة لن تستمر طويلاً، فأمثاله يهلّون عليها خِفافًا، ينقصونها من أطرافها، كـ أوبةٍ مبكرة، لا يستهويهم ترف الإقامة الطويلة، أو تلاحقهم حسابات التعب والخيبة؛ أقدارهم تدهمهم في التماسِ القلق بين الزناد والسبَّابة.

" كان القتلة يتوجسونك في مدخل الحيّ، أشعلوا دمك على مبعدة أمتار من سريرٍ تذوقت آخر الحبِّ عليه " ربما كان هذا رثاءها للمحارب.

ثائرة بعد اعتلائها الكرسي المتحرك، عاشت لترى:

(ولدها يَكبر مضغةً للحياةِ كـ غصن قات، والحاكم المنتدب مسحولٌ في أزقَّة المدينة، والجندي المخذول ينسحب من على الأرض التي لا تعرفه،

وشماتة الناس تودِّع ظهورهم المعقوفة كـ الهزيمة).

ثائرة في معركة الضمائر، صرخت بجارتها الفاتنة حين شكت إليها جور زوجٍ يجرجرها إلى ما يشتهي كـ رخلة: " ضميركِ وحده الذي يُمَكِّن الممارسةٍ بينكما من أن تكون حباً، أو تكون سفاحًا ".

تيقظت المدينة في صبحها على سالفة موجةٍ ثائرة تركت على الشاطئ امرأةً حرة. أُوْحِيَ إليهم أنها ستفيهم حق فحولتهم إن تمتعوا بالرجولة اللازمة تركوها أنثى بلا اسم تيمناً بـِ" ثائرة ".

هُمْ لا يعرفون ما يجري بين السماء وألوان القزح، ولكنهم يصدقون كل ما تقوله الريح.

ثائرة .. قصة المعارك التي وهبت المحارب كل ما تباهى بهِ من الغضب، انتهت برصاصةٍ طائشة.

دوّنت المحاضر الرسمية سبب الوفاة كالآتي: (رصاصة طائشة اخترقت الجمجمة، ناتجة عن عبث طفل لا يتجاوز السابعة بسلاح ناري).

وربما كان الخطأ هو ما قالته نسوة في المدينة عن امرأةٍ أعطتْ دروساً في الحرب لطفلٍ لم يتجاوز عمره الفوهة .. ولم تبلغ قامته الزناد.

تعز – مايو 2005م

الحبيبات الورق

لستُ في حالةٍ تسمحُ لي بالكتابة، ولا حتى بانتعال الكلمات أو ارتدائها مثل ورطة على الأصابع واللسان، أفكر بالصمت لمدة طويلة، وارتشاف فنجان قهوة والجلوس أمام فسحة واسعة كالبحر والصحراء، ثم أغلق محطات الوصول إليّ، التقليدية والحديثة – الأخيرة لا أمتلك منها سوى حروف (الكيبورد) وأنا أتلمس العالم من خلالها، وأترك لهم ما أريد التخلص منه، ربما بعض فوائض الشجن أو الحزن أو الضجة أو نصف اعتراف بقصيدة مبللة بماء القلب.

أفكر الآن بأن الزمن الذي راهنتُ عليه لبلوغ الممكن من تطلعاتي لم يعد صالحاً للإقامة فيه، وأن المكان الذي تمنيتُ أن أحوله لمساحة معطرة صار شيئاً مختلفًا، يمكن أن يكون أي احتمالٍ آخر سوى كونه وطنًا.

كعادتي في صباحاتي التي تعرفني جيدًا، أنزع نحو الهشاشة، ألمس أطراف روحي وهي تتفتت بما يسكنها من حالات الرجل المنهك، أحاول أن أعبر المسافة الباقية باتجاه النافذة، تعلق أصابعي على لوحة المحمول، ولا أستطيع بلوغ النوافذ دونما لغة كافية لمواجهة ما قد أجده من احتمالات الحركة، لا أستطيع النظر للتواصل عبر النافذة تاركاً على الكيبورد أصابعي وما يمكنني الإفصاح عنه.

منذ فترة طويلة وأنا أبدأ رسالتي لامرأة مهمة في حياتي التي يبدو أنها تخلو من الأهمية تماماً، هذه الرسالة كلما نسجتُ المزيد من حروفها أشعر بأنني أغزل خدعة، أو لنقل ورطة، تزايدت الأحرف التي كتبتها من أجل رسالة واحدة حتى اتخذت مساراً طويلاً يصعب عليّ تتبعه، اتخذت شكل جملة ممتدة باتساع وعي النساء التي يسكنّ في أعماق حبيبتي وأرغب أن أهديهن رسالة واحدة، ما زالت الرسالة تعيش استمراراً بهياً، ثم تنسج ظفائرها على كل ما عرفته من أسماء الوجود وزواياه، كثيراً ما راودتني لحظات خيال جامحة لأتساءل عن إمكانية وصول رسالتي إليها دون تدخلٍ مني !! .. انشغالي بهذه الرسالة اللا منتهية حتى اللحظة لا يعني انشغالي معها ؛ حين يفتح الفجر عينيه أستيقظ من دوار اللغة، أتجه إلى عالم صاخب يغمرني باهتماماتٍ إضافية، يصورها لي أسباباً جديدة للتماهل مع الآخرين على رقعة المكان، أتنقل في الوجوه، والأمكنة، ولافتات الشوارع، وأعمدة الصفحات الأولى في الصحف الأخيرة، ومكالمات الهاتف، ورنين الأصدقاء، وسذاجة الفتيات اللواتي ينتعلن وجوهاً خشبية ويعتمرن قلوباً من ورق، والكثير الكثير من التفاصيل التي تجتهد معي لكوبسة الفضاء المحيط، فقط حينما تدنو الأشواق مني كل ليل أجرب العودة لرسالتي، أعود بنفس الروح التي تبالغ اهتماماً بما يمكن ترتيبه من المعاني في جملة لا يبدو أن لها نهاية.

المهم .. صباح اليوم، قبل أن أستعيد ذاكرة الكلام تماماً وأبدأ في استجلاب الأمنيات وبعض الفراشات الملونة ألصقها على زوايا الكلام،

قبل أن أتصرف بالطريقة المثلى وكما أعتقد أن جميع العشاق يفعلونها، وصلتني رسالة يتيمة، كان رقمها مدوناً في واجهة الشاشة، وعندما فتحتها تصاعد القليل من الزفير الساخن، ولم أجد سوى رسالة (فارغة) طاب لها أن تتزيا بعريها / بلا حروف، تركتْ كل اللغة وراءها وحضرتْ إليّ مجردة من الكلام، توقفتُ عن استكمال الرسالة التي أنسجها، ابتسمتُ بغصة، واتجهتُ إلى سرير النوم في غرفة الفندق التي تقيدني مغموراً بالشجن والحزن، ودون أدنى انتباه.

صنعاء – العاشر من سبتمبر 2014 م

ثلاث لقطات لغبي وقمر

– أول موعـد–

قمـر وغبي .. وعلى الطاولـة الخشبيـة – التي يستـحيل أن تجمع المثنى العاشق بثالث – تراصّت أيضاً علب معدنية لمشروب غازي، فنجان فارغ يتربع داخله منديل ورقي، بعض قطع الخجل التي تساقطت من تهامس شريكي الحب على الطاولة .

السماء مسقفة عليهم، والحب كـ المكان العام الذي اجتمعا عليه قاع آمنة.

الملاحظ تماماً وبدقة، عندما رسم النادل ابتسامته الصفراء، ورمز بتوقيع يصادق على صحة مبلغ من ثلاثة أرقام استلقت على الفاتورة لغرض انتقال الأوراق النقدية من جيب إلى جيب آخر، أنه لم تكن هناك ساعتها أي أصابع بشرية تمارس الحوار مع مثيلاتها.

– الموعد رقم ٢–

الطاولة ذاتها والمدينة النائمة بأحلامها تستلقي على ظهر الأرض إلى أن يشاء الله – ما زالت على حالها، وأيضاً ما تزال السماء مسقفةً عليهما، وربما استمر الحب قاعًا.

القمر والغبي .. اللذانِ سبق ورصدهما المشهد السابق ينتظران ما يشبه علبة بيبسي وكوباً فارغاً، المنديل الورقي موجود على سطح الطاولة الخشبية.

المثنى العاشق يُمارس حالة همسٍ مندفعة، وعلى قاع الطاولة تمارس الأصابع حواريةً خاصة ..

ثم كان كل ما سبق بانتظار النادل والفاتورة، مع ضحكة مجلجلة.

ما لا يمكن تسميته " موعد ثالث "

الغبي والغبية ..

يفترشان الأرض في مساحة أمكن توفيرها، ممن عنته دلالة المثل " الصديق وقت الضيق "، مع تغيُّرٍ في الديكور السابق، لا خجل يتساقط من مقدمة القلب والصدر، ولا طاولة ..

اندفاعة الهمس صارت مقاماً لمكاشفةٍ عارية، ضحك الغبي بانتشاء المنتصر، والغريزة بارعة في إثبات كونها أنثى.

المدينة الحالمة تمارس غفلتها لاستمرارية الحلم .. والمشاهد صارت مغلقة (علب البيبسي – الفنجان – المناديل بروائحها الصفراء – فواتير العفة التي يسجلها النادل – العفة في ابتسامة النادل نفسه ...) .

في الشقة المغلقة .. السماء تنازلت للإسمنت الذي صعد سقفاً عليهما، والحب كان صدريةً وردية وملابس رجالية على القاع هذه المرة، بينما النادل هو صديق يتلهف لسداد الفاتورة عيناً.

وشاية خالة

(1)

طال جلوسه على المقهى يتبادل وأصدقاؤه كلاماً معلباً جاهزاً لكل وقت، يتناقلونه بهدأة الأصدقاء، ككؤوس الشاي في يد عامل البوفيه الصغير تنتقل بدورها من الإبريق إلى الطاولة على استعدادها لتقبيل شفاه الشاربين، عندما انتقل برغبته إلى حاجة العودة لمنزله مرَّ على كشك الصحف انتقى عناوينه المحببة أبهرته بالأمس صورة فتاة الغلاف على مجلة "لايف بوي" الشهيرة، العري يتيقظ بشهوة السؤال عنها في داخله – كاد أن يبوح بسؤاله لولا أن تنبه لتيار الخجل الذي سرى بداخله إلى أن غمر دواخل الأشياء، فارق المكان وهو يتابع الوجوه والأمكنة، عشوائية ترتيبها أشعرته بوجه المقارنة مع قطع البازل – بحاجة للجمع وتكوين المنظر الأخير.

اقترب من بوابة العمارة التي يقطن فيها، لا شيء يلفت نظره كالعم عباس سائق التاكسي العجوز، غير متواجد كما اعتاد دومًا رؤيته، ومجاري العمارة مازالت تنزف مادة لسانها الطويل لتخرس به حاسة الشم عند العابرين، وبصمت الأخزى عبر بوابة العمارة والجًا.

(2)

تلقف النبأ من مراقب الدوام في مدخل المبنى الحكومي الذي يعمل فيه، لطالما شعر بكراهيته لهذا الرجل الذي يستغل ساعات تماديهم في نوم الصباح ويحولها إلى جزاءات تستقطع من مرتباتهم الشهرية. شعر بمادتها لزجة تلتصق بذلك النبأ – نوع من الشماتة – يشير الرجل بإصبعه إلى جدول توقيع الحضور كالأعمى، أذهله وقع النبأ، يجهل السبب تماماً، قد يغفر لولده لو بلغه أي إنسان سوى هذا الرجل البغيض، مارست يد، حاملةً القلم، حركة آلية لم يعبأ حتى بمنحها قليلاً من التركيز، حين جلس على مكتبه عيون الخجل انفتحت من مسامات الأشياء تتطلع إليه، لا يجرؤ حتى على مطالعة ملف أعماله اليومي، الأرقام في عينيه تأخذ شكل متواليات جوفاء لا صلة لها بالتفكير سوى أنها تتضاعف مانحة خطأ ولده حجماً أكبر .. وأكبر، إحساس الخجل ليس حاراً كبهار (الكاري) كما سمع وصفه في فيلم سهرة ذات أمسية لا يذكر منها سوى هذه الجملة، الخجل كالزمهرير يجلط حتى خلايا التذكر ويصل بالأعصاب إلى أخفض درجة مئوية لا يمكن بلوغها، قطع وتيرة انشغاله الكاذب كخدعة يمارسها منذ الصباح، لم يشعر بكل ما حوله حتى لحظة وصوله إلى بوابة شقته استعداداً لدق جرس الباب و .. تتالت الأحداث.

(3)

سوى لمبة الإنـارة المكسورة أعلى باب الشقة وقطع الزجاج المتناثرة وفـردة حذاء رجالية، والأصـوات المتعالية بصخب – تقريبًا .. لا شيء يشي بما حدث داخل الشقة، وبرتابة يسمع نحيب متقطع يطلقه الولد وشعور عارم بالحنق على خالته امرأة أبيه ينبت مؤكداً فعل الوشاية الذي كان ضحية له هذا اليوم، لم يعتد من أبيه تصرفاً كهذا مطلقًا، الأحداث تسارعت بعنف حتى تمادى في استيعابها، هي المرة الوحيدة التي لا يميز أباه بين خيط الصواب ودودة قز الخطأ، ألقى عليه بكل ما يملك وما لا يملك، بدءاً بالكلمات والأشياء حتى الأشياء بمفردها.

أزرقين

انهمر بخطواته العجلى يدوس بها وجوه الأرصفة، يُلقي بفضول نظراته لاحساً واجهات المحال التجارية المواجهة لفيض بصره.

بالتأكيد شقّت السعادة أخيرًا طريقها إليه بقوة، غدًا تستقبل الغرفة الخلفية في منزله فتاة جميلة، هي كل ما استطاع أن يمهد له ويبني طيلة حياته، زواج ولده الوحيد، أعلنه آخر طفرة يقوم باختلاقها قبل أن تنتزعه مخالب الموت، هكذا كان يفكر.

آخر رزمة من الأوراق المالية تربض في جيب سترته، منتظرة دور الاستلام والتسليم في نقطة الذروة، لم يتبقَ غير لباس أنيق يرتديه يوم فرحة ولده، عاودته ذكريات موغلة في القدم حين اشترى قميصاً كتانياً أزرق اللون، وربطة عنق، وإلى يومه هذا وهو يعتمرهما لفاحاً لجسده في صباحات عمله المتتالية، وعلى الرغم من ولادات صنوف الشكّ العملاقة التي يتمخض عنها تفكيره بأنها سبب رئيسي لتأخر ترقيته الوظيفية، إلا أنه عمَّق صلته بالقميص الأزرق وبربطة العنق ذاتها، حتى أن ساعية القهوة في مبنى الوزارة دلقت بعمد – شبه كامل – كوبًا من القهوة غمر صدر القميص وكمه الأيسر، عندها كم تجاهل الصراخ الهائج الذي ألحت عليه مشاعره بارتكابه كردة فعل مساوية لفعلها، سموحًا كان، ربما لأنه

احترم رغبة المرأة برؤيته في جلده الطبيعي، فهي لا تتخيله بغير القميص الأزرق. خرج من عمله مهرولاً قاصدًا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، عائدًا بعد ساعة زمن بروح القميص الأزرق، حيًا لا يموت، فالأمر قد استدعى غسيلاً وكيًا بخاريًا مستعجلين، ومن يومها أطلق الزملاء في الوزارة عليه كنية " أزرقين" تجاوبًا مع طموحه اللامحدود للتعايش مع الكتاني المزرق.

في الوقت العابر وبعد ثلاث ساعات من الخطوات المتسارعة والمترددة والخائرة القوى جذبته خطوته إلى المحل المائة تقريبًا، وقع اختياره على قميص رائع تراصت مربعات من ثلاثة ألوان عليه، لا شراكة بينها للأزرق، الأحمر والأبيض والأسود، في مربعات متجاورة أبهرت وظيفة الاختيار في دماغه؛ عدَّ للبائع ما تراضيا عليه، لم يفوِّت إلقاء سؤال أخير على البائع، الذي ابتسم مبديًا الفائض من حسٍّ مجامل : (أفضّل لو وجدتُ لديك هذه الماركة يا عزيزي).. قالها وهو يمسك بصديقه الكتاني الأزرق من خلف الرقبة، مبينًا نوع الماركة الملصق على الجانب المقابل للجسم، غير أن البائع كررَّ ذات الابتسامة المجاملة كـ رد أخير.

انطلق أزرقين عائدًا لمنزله، مارًّا على أشكال الأوجه البشرية المختلفة.

اشترى شرائح بطاطا مقلية من بائع متجول، صعد على متن سيارة أُجرة جماعية تسير في الاتجاه المخالف لوجهته، ترجل في زحمة الطريق العام والسائق منهمك بانتظار الضوء الأخضر لإشارة الطريق المرورية، قاذفًا أزرقين بقطع اللعنات التي في متناول لسانه، دون أن يبدي له أزرقين أدنى اهتمام، فنشوة القميص فاقت فرحته بولده.

عاد يجدِّد انهمار خطواته على أرصفة الشوارع المؤدية إلى وجهته، في الطريق توقف أمام إعلان خليع على لوحة العرض أعلى باب السينما، لأول مرة يلاحظ جاذبية المنتج، فكَّر كم هي السينما رائعة، وهي تقدم لأكداس الغرائز (البشر) في ظلام العرض هذه الأفخاذ العارية، تجرأ واقتحم الطريق إلى شباك التذاكر، ألقى بورقة نقدية بغير دراية بالسعر والتقط التذكرة الورقية لدخول عرض الغد، لوهلةٍ فكرَّ ماذا لو أجَّل ولده موعد العرس عندها سيحضران العرض سوية، ألقى قطعة نقدية أخرى وتناول التذكرة الثانية. خرج ملقياً نظرة أخيرة على العروض الورقية الملصقة أعلى باب السينما، تنهد بعمق يؤكد عدم قدرته على حضور هذا العرض الساخن، غريزة أخرى – كسواه من المتفرجين – بين أكداس الظلام.

حين ابتدأ الليل يسدل مقدمات ستائره على فضائح الخلق، تنبه إلى عادته اليومية المقررة في لحظة الزمان هذه – بالتحديد – وقف أمام باب المسجد وبعد حسبة سريعة قرر كسر جدار العادة، صمَّ أذنيه وانطلق نحو كشك الصحف، قبل ميعاده اليومي الذي دأب عليه لما يقارب نصف عمره، حين ناول " أبو رزق" العجوز قيمة الصحف نقدًا، سأله عن المعجزة التي جعلته يقتني صحف المعارضة، قال العجوز ما معناه: (ما فعلتها قبلُ يا أزرقين ؟) ظلَّ أزرقين متجهمًا من استفسار العجوز، حتى ألقى بوزر قدمه اليسرى متجاوزاً عتبة بابه، وهنا انفجر في جو المنزل الصراخ والتهليل والتصفيق، ضجيج الفرحة يعلن جديَّة موعد العرس؛ روى أزرقين تفاصيل يومه منذ ابتداء الديك بالصياح كعربة إطفاء فارغة،

وتعمد تجاهل تفصيلة تذاكر السينما.

حين استيقظ الديك في الصباح الباكر – يوم العرس – كان أزرقين قد ارتدى قميصه الجديد، بدا ضيق المقاس عليه نوعًا ما، لكن ذلك ليس بالشيء المقلق – كان فخوراً بنفسه، وكم تمنى لحظتها لو رأته ساعية الوزارة، علّها تحقق القليل من أحلامها على يديه.

أزرقين – في الحادية عشرة من ظهر يوم العرس – استسلم لغفوة عابرة، دفع ثمنها القميص الجديد بألوانه الثلاثة، ولم يعد صالحاً لممارسة مهامه ..

على إثر تلك الحادثة عاد الكتاني الأزرق للخدمة مجددًا.

مدارٌ معطل لسيدة السهولة

في كل مرة كنا نفترق أيضاً ..

كنتِ تعقدين حاجبيكِ بما يفوق عقدة القصيدة جمالاً، وكنتِ – لو تتذكرين – تخلطين تماماً بين استعمال القُبلة وبين استعمالات الابتسامة عند كل وداع؛ أعتذر الآن كثيراً لأنني تركتكِ تعانين من ذلك الخلط العجيب في المشاعر، وقتها كنتُ أستمتع كأيِّ أناني مكابر بورطة فتاته الأروع؛ أتذكر أنه كان في مقدوري حينها أن أعلمكِ – بحبٍ يليق بك – مـ الذي تتركينه لي، ربما كنتُ أنا نفسي عاشقاً آخر لا يستوعب فروضه العاطفية جيدًا.

وفي كل مرة كنا نترك بعضنا لموعدٍ آخر ..

تنسابين بشفافية الجدول، الآن بعد زمنٍ مرّ أجد نفسي فاشلاً في خوض علاقة مع امرأة أخرى، أو فاشلاً لا يتقن اختياراته، أو أصادف النساء اللواتي لا يجدن استعمالي في حالة عشقية أخرى، صدقيني أجدني محاطاً بالفشل.

أتمنى أن أقول لإحداهنّ ذات يوم : " هي كانت باذخة بترك بهجة على القلب " .. بل سأُعلِّم أيّ امرأة أصادفها من اليوم كيف كنتِ تملئين – عند

افتراقنا – كل شيءٍ من حولي ببهجة مناسبة / مناسبة لأن استحم فيها، وأرقص، وأجنّ، وأتعلم القراءة والكتابة واستخدام القلب ومناطق الإثارة في المكان وفيها.

سأُعلم أيّ امرأة أتعرف عليها مصادفة أنني كنتُ أضمُّ في كياني الكثير من الفرحة التي أعطيتني إياها عند تركي ليومٍ أو يومين؛ وكيف كنتِ تتركين بابتسامة واحدة شجناً يفيض عن حاجة عاشقين.

يفيض لتشتاقكِ مفردات الزقاق الذي يجمعنا لوهلةٍ أخيرة يفيض لتشتاقكِ الأرصفة والجرائد اليومية والعصافير على شبابيك البيوت؛ ولهذا عادةً ما كنتُ أجد قبل أن نعود معًا التفاصيل والأشياء لا تهتم بي ولا تلتفت لوحشة اشتياقي، ولا تحاول أن تواسيني بالاقتراب مني أكثر .. الآن عرفتُ أنها كانت منشغلة بالتداوي منكِ أيضًا.

كل الملامح في البلاد كانت شريكةً لي حين يجيء موعد الشوق .. وكنتُ الوحيد الذي استطاع ألا ينام فيكِ، حاولتُ البقاء على قيد ممارسة العشق والحب دائمًا، حتى أتقنت التفرد بولهٍ يخصني، حتى تمكنتُ من أن أقول لكِ : " أحبكِ " .. كثيرًا، وكأني أقولها لمرة جديدة على الدوام.

سأعلمهنّ علناً أنكِ كلما تتركين قبلةً حارة على شفتيّ المرهقتين .. لم تكوني لتتركينها يومًا جافةً أو عجلى ..

ذلك الأمر أتخيله وكأنه ما زال يحدث في الزقاق – الذي اخترنا أن نفترق ابتداء منه، ونلتقي أيضًا – بين جدار الحديقة ومنزلكم.

– أتعرفين لماذا ما زلتُ أتذكر قبلاتكِ على شفتيّ بهذه الواقعية المستحيلة ؟

– لأنني ما زلتُ أحسّ بالقُزح الذي يدور في دوامة الوعي .. مازلتُ أجد عطر اشتياقي إليكِ رطباً ولذيذاً كلما تحسست أثر القبلة بلساني / رجلاً أضنته طفولته .. والأهم أنني ما زلتُ أحسُّ بـ " الدوخة" التي تلفني عقب كل قبلة، ربما كانت "دوخة" ارتحالكِ عني.

– في كل مرة كنّا نقول الكثير .. ونقول ما سنقوله حين نلتقي، نبقيه مدخراً إلى حين عودة.

وفي كل عودة لم نكن لنقل ما اتفقنا على الإتيان به، وما اتفقنا على ممارسته متوحدين بأُلفة تفوق أُلفة الواحد نفسه .. في كل عودة تبتسمين كما ذهبتِ أول مرة وأكثر مرة، وتقبِّلين الطفل الذي في داخلي على شفتيه بأغوى من كل مرة.

منذها شعرتُ أن الرذيلة لا تأتي مبهِجة ومبخرة كما تأتينْ، ولا تجيء ناعمة بناهدٍ كزهرة النوّار كما تجيئين، ولا تحضر باهية ومعها الشموس الـ غابت كل ليل.

إذن سأنتظر عودتكِ كما تحبين تماماً: " سأعود مع الموجة يا رملتي " .

أنتِ وعدتِ بهذا الشكل من العودة، وأنا مصدق ما بين يديّ وأضلعي من أوبتكِ الحميمة.

بين الآمر والمأمور

ما الذي بإمكانك قوله:

لو استغل أحدهم جهلك المطبق بالعالم الممتد حولك، بقوانينه المزدحمة والمتراكمة على بعضها، بالتعليمات الجديدة والتعميمات الأجد، بأشياء أكثر إثارة للخوف من مجرد أسماء مسموعة في نشرات الأخبار كالإرهاب –التخريب، وإزعاج السلطات.

تركك هكذا بلا رحمة في قلب زنزانة حجرية، لضيقها تعجز أن تمد بها لسانك خارج فمك، جدرانها الأربعة تلتصق بك كُلك .. جلدك وعظامك ودمك، وأفكارك البريئة وغير البريئة.

– ببساطة .. ماذا يمكن أن تقول؟

– " وقِّع هنا ".. (ومد أمامك الورقة كالربع الخالي بيضاء مثل معرفتك بما يمكن أن يملأها، وصوته يتعالى مثل أبواق العسكر وطلقات التشريف، يتتالى عشرون صدى وصدى في جمجمتك، وأنت تعصر أعصابك فيما يعصرك الخوف مما حدث ويمكن أن يحدث في الزمن الذي جمعك بسجنك وسجانك، مسجلاً ولادة تعارف لأطراف نادراً ما تتفق وتأتلف)

وقعت بهدوء، وتركت إبهامي الأيسر يغوص في علبة الحبر، حتى غرق

وهمدت أنفاسه، بدأت أترك آثار إصبعي على الورقة / بصمة أطلق عليها الضابط – المبتسم مذ عرفته: (إجراء احترازي)، وأقسم أنني لا أعرف إن كان يقصد البصمة أم الابتسامة، فقبل ساعات فقط سدد إلى وجهي قدمه اليمنى وألحقها بكفه اليمنى ثم " تف تف ".. وعندما شعرت بلزوجة البصاق وجدته أمامي ماثلاً بنفس هذه الابتسامة بكل براءة، كطفل ينتظر مصروفه اليومي.

قلت لنفسي حين رأيتها على وجهه: قد يكون اصطدم بي عفواً دون قصد مسبق، أو قد لا يكون هو من استخدم معي العنف ربما هي "أم الصبيان" / الجنية التي تفاجئ البشر حين يختلون بأنفسهم ليلاً في أماكن مظلمة ومنعزلة، وقد تكون تجربة علمية جديدة كان لي شرف اختبار نجاحها بالعمل كنموذج بشري.

بهدوء يخاطبك ملقياً إليك صرة من القماش:

– البس ثيابك وقم بعدي.

تنتظر أنت خروجه، ولكنه لا يتحرك كلوح خشبي نقشت على رأسه تلك الابتسامة، ولأنك تعرف مواهبه في تسليط " أم الصبيان" على نموذج بشري، لا يطول انتظارك سوى ثانية أو أقل، تستغل كل فطنتك ودهاءك لمعرفة إن كان سيخرج ويترك لك حرية ارتداء ملابسك، ولكن .. أهلاً وسهلاً، هو لا يضايقك على كل حال.

ما إن تُتِمْ ارتداء كامل عدتك القماشية حتى تلاحظ الآتي:

١- اتسع بنطالك من الخصر بحيث يمكنك أن تستضيف جسداً آخر لجوارك في نفس البنطال.

٢- يبدو أن الأزرة كانت في أماكن غير مناسبة، فجميعها مخلوعة، وهذه من العيوب والمآخذ التي يمكن أخذها على من خاط ملابسي.

٣- الإجـراءات الأمنية صارمة، فكل ما يمكن استخدامه كسلاح – قد يساعدك على الفرار – لا يمكن إعادته للسجين، مثال ذلك (الحزام الجلدي الذي كنت أرتديه على خصري، الأوراق المالية التي كانت بحوزتي – صورة حبيبتي القديمة، والشيء الذي كنت أنتعله، لستُ قادراً على تذكره، وأخيراً هناك مالا يمكن استخدامه كسلاح على الإطلاق، وهو جوالي، الذي فاجأني الحارس مستأذناً مني باستعماله حين تتصل أمه من البلاد، وطبعاً لزمن مجهول).

كل شيء عدا الملاحظات السابقة كان على ما يرام، حتى الشارع الرئيسي الذي ألقوني فيه تلك الليلة لم يتغير، ما إن أزلت العصابة عن حبيبتيَّ لأرى، حتى اقتحمت الفوضى فراغات البصر .. المطبات الإسفلتية، الرصيف المصاب بالجدري، المجانين المتروكين بعشوائية لنومهم المتقطع ينهش عمرهم الباقي فوق الأرصفة .. والمحلات المغلقة في آخر الليل، حتى انتبهتُ للشيء الأخير المثير للشفقة .. "أنا"، الواقف على قدمين، بالكاد مكذباً ما بين يديَّ، تهمة لا أعرفها وإفراج مفاجئ.

مثل هذا يمكن أن يحدث في أي ركن من أركان المعمورة بين الآمر والمأمور.

ممتهن الفخارة

قال الحكيم :– "ضرغام" لن يصحو إلا لو اغتسل برماد التمني،.. وروى – حسب ما تعلم من الشيخ الكبير الذي يقارب عمره عمر الدهور العابرة على دور القرية – أن ذلك الدواء الذي ترتبط به صحوة "ضرغام" يمكن إحضاره لو ثار بركان القرية، وهو ما لم يحدث منذ وطأت خطوات النور أول افتتاح لدرب عينيه.

قال الحكيم: (كما انسلخ نهار ولادته وحلَّ بكل غرائبه علينا، سينسلخ نهار آخر متعمداً ثورة هذا البركان المتغافل عن أداء دوره). عندها عبر مصروع القرية في واحدة من صدف عبوره، ملتقطاً الأسرار النضاحة من شفاه الأهالي حين يتناقلونها عندما تنتابهم رغبة النميمة الملحة، قال في إحدى صرعاته:– (ويلٌ يا ويلَ الويلِ ... مصروعٌ ضرغام مثلي) لم يعبأ أحد الأهالي بمقولة المصروع، عدا الحكيم الذي لعنه بكلمات معدودة.

* * *

الوقت: أظلم دياجي الليل.

الحدث: صرير عظام حديدية، وطرقعة ختامية، تعلن مفارقة "ضرغام"

لداره، كالعادة إلى حيث لا يدري أحد. ليلتـها لم يكن الوقت الذي ولج فيه "ضرغام" لخارج الدار هو مبعث دهشة عشيرة ضرغام في الدار؛ بل كان مبعثها تواجد الرجل تحت أخشاب السقف حتى هذا الوقت البعيد ليلاً، وكما خَبِرَتْهُ هي، كان ميعاده يترافق مع خيوط الفجر في صفوف المقدمة، وهي تحمل الأمر لصراصير الليل لتكفَّ عن بعث موسيقاها الجنائزية الرتيبة، دائماً في تلك اللحظات يخلع " ضرغام" معطف تعب اليوم ويدخل فضاء داره طالباً النوم، حتى تبدأ الشمس رحلة غيابها مرة أخرى.

أدهشـها "ضرغام" فعلاً، هو ليس بقادر – كما تحفظه عن ظهر قلب – على تخطي حدود أفعاله الروتينية، التي تتداولها أيامه بحكم العادة والاستمرار. لم يجتز قبلاً تلك الحدود بخطوة يتيمة، وها هو هذه الليلة يلغي كل قواعدها الصماء:

– (لا بد أنها ليلة العمر دون شك يا سيـدي) حدثت العشيرة نفسها بذلك.

أطلق "ضرغام" زمام خطواته وانطلق على سرج الطريق.. لم يفتقد، ولو وهلة، الكلب الشرير الذي يستلقي على باب داره ليلياً – مثل ارتباطاته بعمله – فقد توثقت الصلة بذلك المخلص عند خروجه من داره كل غروب شمس، الكلب يكون حاضراً في الجوار يتمطى استعدادًا لاحتلال موقعه المهم، وعند اقتراب خطواته فجرًا، يستيقظ ذلك الكلب ويمضي إلى حال سبيله، بما يشابه تقديم الكثير من الاحترام لسيد الدار.

"ضرغام" غير مبالٍ بأعشاب الظلام الكثة، غير متأكد إن كان هذا هو نفسه التوقيت الشهري الذي يضجر فيه القمر، ويبدي عدم اهتمامه بجز العشب النابت كوخز الإبر في حدائق رؤية كل الناس المعتمدين عليه كحدائقي ماهر في التخلص من هذه الآفة، وغير متأكد حتى من وجهته، يكفي عليه الانطلاق في صدر هذا الجسد الواقف أمامه متحديًا إقدامه، وبعضا من رجولته.. كما يشعر.

وعى فجأة أنه في السبيل إلى جدول القرية، صادف المصروع أمامه سائراً في اتجاه معاكس لمقصده، يرتجف بردًا، وجوّ الليلة خانق برطوبته، مغرق بحرارة الأرض والأجساد النافرة على سطحها؛ يؤمن "ضرغام" منذ تفاجأ وعيه بالمصروع في أروقة القرية، بأنه يحمل حقيقة عجز سواه عن بلوغها، "ضرغام" عبد ما يؤمن به، وهو خبير بارع بكل ما يمنحه إيمانه، كخبرته بجدول القرية – بفترات إغدافه، ونزوات منعه – ويرى الآن إغداقاً لم يتكرم به سابقاً. مسَّت أطراف أصابعه صفحة الماء، للتوِّ أحسَّ بما يثقل عليه، به رغبة جامحة للاغتسال، تصارعها رغبة أخرى بترك مياه الجدول على حالها.. يتزايد إحساسه بالثقل الذي كاد يكبل كل جوارحه، طوال حياته لم يصل لمقام رغبتين دون أن تلغي إحداهما الأخرى.

ما إن انتهى من خلع كل ملابسه، راودته ذكرياته القديمة، توقف عند ذكرى أول قطرة دم ساخنة سالت على صدره، كان ذلك حين خدشت إحدى يديه المشققتين موضعاً من جلده الذي كان غضًا طريًا.

بعد تلك الحادثة بأمدٍ غير معلوم لم تعُد يداه تخدشان شيئاً سوى طينة الأرض، توقف شعوره بسخونة الدم؛ لعلَّه أقلع عن عادة التسرب من ثقوب الجسد، وإن كان.. ليس مهتماً بسخونته لو حدث أمر مشابه.

في تعريه الكامل أمام الجدول المحروم من الرداء / عارياً منذ طفولته الممتدة في سرة الأرض التي تزحف مياهه عليها – عريهما أعد لمشهد أشبه بممارسة الحب إن تغلب الرجل على تردده؛ "ضرغام" كان مستاءً أكثر بكثير مما يدري، ما ردعه التردد يوماً عن الوصول لما يرجو، الموقف هنا مستحيل، ولم تمر عليه مشاعر مشابهة.. قرَّر أن يكون جسده العاري في اللحظة التالية معابثاً لجسد الجدول أو لا يكون..

سحب قدمه اليمنى / طوال الوقت كانت ملامسة لمياه الجدول الباردة، أدار ظهره متجهاً نحو ثيابه التي تنتظر، استدارته توقفت في نصف تمامها، انتفض "ضرغام" كثورة بركان مفاجئ، ارتج جسده لدقائق وتخشب خلالها وهو واقف على قدميه بوضعية نصف الاستدارة .. خرَّ بعدها كأي شيء صلب سقط قرب جدول ماء.

سقط الرجل عاريًا.. ومنذ دقائق مضت حاول إدارة ظهره لجسد الجدول العاري المنتظر بدِعَةٍ لوصوله.. منذ دقائق قبلها كان يحلم أن يمارس اغتسالاً يزيح الثقل عنه، اغتسالاً يشبه ممارسة الحب والتطهر من فائض الشوق والشغف.

منذ دقائق .. كانت آخر فكرة راودته كأمنية، ارتداء ثيابه لسبب يخالف

رغبة الاكتساء، قد يكون الخجل من العري.

سقط الرجل "ضرغام" على مبعدة أصابع معدودة من ثيابه .. ربما هو انتقام الجدول لكبريائه المنكسر، وربما للكثيرين غيره.

*　　　　*　　　　*

منذ اليوم الذي دلَّ كلب مشرد، الحكيم وعشيرة "ضرغام" في الدار – وبعض من يهتم – لموضع الجسد الهامد عند الأخدود المحفور في الأرض (ما كان في سحيق التاريخ طريقًا للماء) والحكيم يحتمل العواء المؤلم لذلك الكلب، في كل ليلة يغيب فيها القمر عامدًا، دون جزّ عشب الظلام النابت بفضاضة؛ الحكيم على يقين أن "ضرغام" سيستيقظ، تصيبه الرعدة كلما عاودته تصاوير تلك الليلة، كان الناس على وشك مداراة الجسد البارد في الحفرة التي أوصى أن تكون معدة هاضمة لجسده عندما يهمد، لولا تلك الحركة المتكررة لإصبع القدم اليسرى لكانت المعدة قد أنهت وجبتها.

بالنسبة للحكيم قرنت حكمته صحوة الرجل بثورة البركان، وغسيل الجسد برماد التمني؛ أما عشيرته في الدار فقد صرَّحت ذات مرة بسرٍّ لبعض نسوة القرية – التقطه مصروع القرية، كالعادة بإحدى مصادفاته، كانت تهذي كالواثق بدقة تقديراته: (لن يصحو إلا بعودة الفَخَّار الذي باعه.. الرجل كان يسرق طين أوانيه من حقول القرويين، ضميره كان نائماً، حين صحا أجبر الجسد على النوم حتى تعالج أخطاؤه، إنها لعنة الضمير).

بعضهم آمن بما قالته عشيرة الرجل، خاصةً والحقول بدتْ شاحبة منذ

امتهن "ضرغام" وصار فخَّارًا.

للرجل العديد من الأشقاء في تلك القرية، لم يكُ أيٌّ منهم على استعداد لكسر أوانيه الفخارية، التي فقد نظيرها قطعاً من النقود المعدنية عندما كان "ضرغام" مستيقظاً يبيع أوانيه بنفسه.

الحقيقة مشتتة بين رماد الحكيم ولسان العشيرة، وبالتأكيد جزء منها في نبوءة المنادي: (ويلٌ يا ويلَ الويلِ .. مصروعٌ ضرغام مثلي).

الحكايات الممكنة لرجلٍ ضلّت طريقه الأحذية، أو ظل يومه في الماسينجر

منذ طفولتي .. كلما وقفتُ على رواية (الأميرة سندريلا والثائر صاحب المرآة السحرية) أجدُ الغالب من الفتنة فيها .

رهاني المستديم مع " سندريلا " كان يتنامى بفعل طفولتي، وكان لابدَّ لذلك التنامي من حد فاصل.

ذات صباح استيقظ في داخلي "أنا آخر"، " أنا " أكبر مما أبدو عليه، تعبتُ من البحث عني طفلاً، وشعرتُ "بأناي" هذه المرة مندفعة، وتمتلك حنجرة خشبية وجافة .. مع غروب اليوم كنتُ قد شرحتُ لجدي ذلك الأمر .. "أنت لم تعد طفلاً " .. قال ذلك و تصاخب بضحكته المدوية.

لستُ طفلاً، للأمر علاقةٌ بالنساء؛ هذا ما كنتُ أحدسه، ولستُ متأكدًا منه تمامًا تذكرتُ " سندريلا " وانتظرت المساء.

خاب ظني معها، الغالب من الفتنة سرعان ما تبدد، اكتشفتُ زيف تفاصيلٍ عُلِّقت بها الحكاية في صفحة المقدمة – قبل الصفحة الأولى – عرفتُ أن عصفورها بلاستيكي، وأن أوراق الوردة الحمراء ليست أوراقاً شجرية وإنما هي نوعٌ من ريش الطيور؛ وهذا ما فسر لي المبهم من حركة الوردة والعصفور في الحكاية .. حيث دائماً ما يكون جسد العصفور لزجاً وساخناً

حين تطلقه في الفضاء ألسن الجدات، و تكون الوردة دائمة النضارة.

الجزء الأشد صعوبة – اكتشاف شخصية الفارس الذي أحبَّ "سندريلا" وهذه التفاصيل هي الأغزر حضوراً عبر عمر الحكاية، والأقدر إدهاشًا، ترغمني على التجول إلى أن يكتظ وعيي برماديةٍ شرسة.

أعدتُ بحث الحكاية بتركيز كل ما لم يعد طفلاً في داخلي، ومع التكرار اتضح لي واقعٌ من الخيال الصعب، خطأ استمرأ الأطفال انشغالهم عنه، بتوجيه اهتماماتهم نحو العقدة الأهم في حكاية " الأميرة والمرآة الثورية".. وهو صوت عقارب الساعة عند اقترابها من إعلان منتصف الليلة، ونهاية سهرة الأميرة؛ يثير ذلك قلق الأطفال ويثير قلقي كماهم؛ إلى أن كبرت – كما قال جدي – هذه الليلة مع الاعتياد على دقات الساعة، وقفتُ على زيفٍ فاجع / الزيف الذي سبب تعديل الحدث والتوائه ..

ما عرفته .. الفارس الذي راقصها، ليس بفارس أحلام يقوم بدور ثانوي تستدعيهِ الحاجة لتغطية فراغات الحدث القصصي.

ما عرفته .. الفارس الذي راقصها، ليس بفارسٍ هش نستطيع إبداله بقرويٍ فقير، أو بسائحٍ أحمر البشرة، أو حتى بحطابٍ يحمل فأساً سحرية.

ما عرفته .. أن الفارس الذي راقصها كان حقيقيا التصق به العصفور البلاستيكي / الذي يخصُّها، فأطلق صوتاً طبيعيًا كأي عصفورٍ آخر.

الفارس الذي راقصها هو الوحيد الذي اشتمَّ للوردة رائحة عطرية،

والوحيد الذي غرزت الوردة أشواكها في استحياء بصره، إلى أن سالت الحقيقة.

الفارس الذي راقصها كان يحمل بطاقة ثبوتية، وجواز سفر عليه تأشيرات عبورٍ لأقطار عديدة.

والأجدى أن ذلك الفارس .. كان حفيدًا وحيدًا لكهل مرح جداً يقوم بوظيفة هامة / يبيع الآيس كريم للأطفال مشوياً في القرى الباردة والنائية أكثر. ذلك الجد هو التفصيل المناسب لتأكيد اسم الفارس الثلاثي، الاسم الذي كشفته لي أكواد الحُكى والمستور من الحدث.

عند اقتناصي لهذا الكشف المعرفي في بنية الحكى السندريلانية تغير وضعي معها، على لسان جدتي، في فضاء الحكاية، وبين الأسطر المكتوبة كنتُ أعيشني مرتين؛ في الداخل الحكائي رقبتُ تلعثم أقدام السندريلا بحركة مشوشة، متلهفًا اللحاق بها، وعلى أطراف أصابع قدميها تسللت إلى جناح امرأة أبيها، تأكدها أن الجناح خالٍ من الأعين والبصائر المتلصصة دفعها للرقص على امتداد الأبعاد المكانية المتاحة.

في الجناح الفاخر ابتدأت الرقصة بعنف، الحركات المتشنجة توحي بأن الجسد الأنثوي يمارس طقسا خارج رصد الحكاية، العنف يفكك أعضاءه بخشونة، الجناح كان أبكم لا صوت له، غير أن المشهد كان صائتاً بالضجة، أعضاء الجسد كانت تدك وعيي بهديرها على البلاط الأملس، والتواءاته المرنة رسمت أبجديات بدائية، وبتدريج يتناسب مع ثورة الأنثى كانت

درجة حرارة الأشياء الجوامد ترتفع أيضًا.

جوامد المكان بدأت تنهض حولها، والسندريلا الأنثى مثقلة بجسد يمارس رقصًا خياليًا خارج النص، ويمارسه بفساتين سهرة بللها العرق، الجسد ذاته يرسم أشكالاً بديعة كأنها علامات قديمة محفورة في مكان ساخن / علامات بدائية ساخنة.

جسد الأنثى هو البدائية، البدائية هي الرقص الصامت، الصامت بضجة بصرية تستفز الجوامد، الرقص الذي يستفز الجوامد هو أشبه بالدوران حول النار، النار هي بهجة البدائي، البدائي هو الشهوة، الشهوة هي الغريزة الأولى، الغريزة الأولى هي الأنوثة المؤسطرة، والأنثى المؤسطرة هي الجسد الذي يشعل الأمكنة.

في استدارات رقصتها كان يحدث أن تلتقي عينها بأخرى تبدو واضحة في المرآة المصقولة جيدًا، وحين تلتقيان توسوس إحداهن للأخرى بتشريع غرائزي سنته البشرية الأولى / توترات أعضاء اللقاح الساخنة لإكمال سر الإخصاب في تويج الزهرة كلما استقبلت حبوبها من الرياح اللواقح.

الوسوسة ذكَّرت الأنثى سندريلا بالإثارة، تدرجت برقصها الجميل، أوحت الإشارات لقمم الجوامد حولها، اختصرت ما عليها من قماش مبلل ومن ستور غطت اللحم الأحمر تماثلاً مع تعب يلفّ الجسد ويختصر مقدرتها على الاستمرار.

انتفاضاتها صارت تقلّ، حركتها تزداد رزانة، وكلما فعلت ذلك تكثفت

الإهاجة حولها، وارتفعت حرارة الجناح المغلق بما فيه أكثر.

إحداهن أقنعت رفيقتها بتوسيع مساحات العري على الجسد، هنا صار اللحم جائعًا بحمرته المثيرة، مسام الجسد تسرب لعابه، والخطوات الراقصة أكثر تعبًا .. وأكثر شراسة.

ظننت أن السندريلا ستدوم حكاية حكاية راقصة، طالت انتصابات الأشياء في جناح فاخر، ثار جسد بض على بلاط أرضيته اللامع. كان الظن أن لا خاتمة والضجة تستمر.

بمغزلية دائخة استمر لحم الجسد التعِب يفرز حبات العرق اللؤلؤية التي تكسرت عند تساقطها على البلاط الناعم، لتجعل الحركة الزلقة فعلاً أسطورياً في مرويات حكاية، خضب الدم بلاط الأرضية وامتزج بالعرق المالح.

لمحت الأميرة في المرآة جسدًا مكللاً بحبات العرق الساخنة الرائحة، وروحًا دامية، فتهالكت على الأرضية المبللة وتكوم اللحم على بعضه معلنا حريته؛ ظلت أميرة أخرى خلف المرآة تكتب شيئاً على الورق.

حين كف الجميع عن ترديد قصة السندريلا لم يكن السبب ضمور "ألسن" الجدة الراوية، أو في شيوع الملل منها لدى الأطفال، أو في تشريع سماوي بمنع تداولها، أو في حالة إغماء تصيب البطلة بين حدث وآخر .. مما جعل متابعة السرد أمرًا محالاً. كان السبب الأوجز والأهم إمضاء الأميرة على وثيقة استقالة كتبتها أمام شاهد عيان على الطرف الآخر من

وجه المرآة.

في نص استقالتها تنازلت الأميرة عن كونها مركز الحكى السندريلانية، وجواز انتقال هذه المركزية لرجل لا يمكن إبداله بسائحٍ أحمر البشرة، أو بحطاب فقير؛ رجل يلتصق به العصفور فتألفه الزقزقة، رجل كافٍ كرائحة العطر على وردة، ممتد كما قبل التوبة، رجل تنفس من رقصتين.

.. والسلام.

إنشائية .. إلى امرأةٍ كانت [ولم تأت]

آهـٍ .. كم يكلفني أن أحبكِ .. كما اُحبك

لوركا

– كالعادة ..

لم أعد أنتظر انتظاركِ الذي تركني مهدوداً في عوالم غربة لم آلفها بعد، ولم أعد أنتظر انتظاركِ مذ عرفت أنه لم يعد ممكناً ..

لم أعد أنتظركِ بعد أن أهملتني الفنارات الواقفة بخيلاء تشير لفوات كل ما كنتُ أنتظر مروره جميلاً ولم يعد، وجففتني السطور المعبأة بالأحلام المستحيلة في صدر الرسائل القديمة – الورق.. اليوم تنبهتُ أن ورقها قديم كخشب الشجر / كيف لم أتنبه قبلاً إلى فجاجتها معي ..؟!!

كالعادة لم أعد أنتظركِ؛ إلا لأطلب منكِ كفّ الريح عن ترك أقدامها – الصلبة – بقوة على سقف قلبي .

• من قال إني ما زلتُ قادراً على استعمال الضجة كما كنتُ ..؟

من قال إن الطريق ستعود من استراحتها الطويلة لتأخذني معها ؟

ربما كنتُ أنا أيضاً .. غير مستعد، ولم أتمّ هفوتي بعد!!

- يا فتاتي ...

فتتتني المواعيد التي أذعنتُ لانطفائها قبل أن تكون لي تماماً . لا أعرف ما هو الشيء الذي يجبر الأغبياء على ممارسة استعمائهم التام مع المعاني، ولكني بعدكِ تجربة مضحكة، عرفتُ على الأقل كيف أكون غبياً .

وبعد تداور اليوم حولي كثيراً أصبحت أكره العدّ حتى نسيته بمهارة، فلا تحاولي أن تذكريني بالرقم الذي كانه كلّ منا لدى الآخر . وإن سألتني عما أقصده بهذه الـ(لدى الآخر) سأخبركِ - دونما خوف - أنني أعمد إلى استخدامها للدلالة على ملكية مادية، ففي علاقتنا المشتركة أحدنا بالتأكيد كان في جيب وليفه - وليس في دمه - وربما حول عنقه .. عقداً ثميناً، أو حبلاً أثمن للموت البسيط بحقارة .

لربما كان الغياب جميلاً، هو يوفر لنا عملاً رخيصًا، ووقتًا خاليًا منا

تعرفين أن المساء كبير ولا يبرره انكماش أرواحنا من الظلمة، لا يبرره الخوف الذي يغزو ملامحنا بغزارةٍ بدائية ؛ ولهذا أكتب إليكِ في الأماسي فقط، إنشائيةً أحسبها لا تقول عني شيئاً، وأحسبها الأخيرة في كل مرة .

ولأن المساء كبير .. تعرفين أيضاً أننا اتفقنا ذات مرة على التزام الحجر الأبيض المشع – كم ضحكنا عليهم وهم يدعونه بـ القمر .. لأننا وحدنا افترضنا أن ثمة عاشق مرهق – مثلي – يخلعه من عينيه ويتركه للناس أجمعين، وأن هناك امرأة سامقة وهاربة مثلكِ تمضغه كرغيف من الحب كلما خلع الفتى عينيه و اندمع .

– أتعرفين ..!؟

لم أعد أبالي بأن أعرف كل ما عرفته عنا، دحضني الخجل حتى أصبحت قشرة صلبة تشرخها اللمسات المزيفة، وترتبك أمام موديل سينمائي لفتاة العرض الكريمة الجسد، لم أعد أبالي بالمعاني التي مارستها وحيداً كـ[مسافر أخير في مسالك الفوضى] .

إذن قدمي لي تهنئة أخيرة فقد صرت شيئاً ممكن الجمع، تجاوزتُ البعثرة التي اخترتِها أنتِ لي .. وقدمي لي تهنئة أخرى ففي أي لحظة قادمة قد أتحقق مكتوباً على المستطيل الزجاجي لنافذة بعيدة – بعيدة بالقدر الملائم لتكون جميلة جداً .. كما لم تقدري على كونه .

– أتعرفين ..!؟

نحن وبمهارة .. [نلتقي .. لنخسر بعضنا] .

نحن نلتقي .. لنشترط القول، ونشترط الذاكرة، ونتنصف المنى المؤقتة . ونلتقي لنمارس فعل الكذب المؤجل مستقبلاً، ونلتقي أيضاً لنمشي حتى نتعب منَّا على شوارع مدينة لا تعرفنا حجارتها ولا يهتم بنا مجانينها .

نحن، وبكل واقعية ..!

[نلتقي ليموت كلٌ منا وحيداً]

[نلتقي .. لنخسر بعضنا] .

التوبة المتأخرة.

حتى الذكريات التي اكتنزتها في أعماقك يمكن أن تصبح لعنة تطاردك

يمكنك أن ترمي للوقت ملفاتك المتبقية، قبل أن يبادر هو بالتقاطها عنوة من جيب أحلامك المثخن بأسطوريته، ويجب عليك – دون انتظار مناسبة تحتفل بها – أن تشعل ما استطعت من هذا الفتيل الذي ينتظرك كطرف شمعة، ولا تقل لي كما تعودت : (يبدأ ميلاد الشمعة مع أول عود ثقاب يبادر بإحراقها) ، فعندها لست مجبراً أن أقف معك شاهراً رأيك في مقابلة ضوضائية مع عالم آخر يعارضك تماماً.

يا عزيزي ولى ذلك الزمن الذي كنت به مقداماً.. حاول أن تقلب خانات أرشيفك من جديد، لعلَّ هناك مقداماً آخر ينتظر دورهُ معك.

السالفة تمر بحانوت العم صالح، وبربطة عنق أنيقة تناسب ملامح الطفل الباكستاني الذي يمر صباحًا مستقلاً باص المدرسة الأصفر في طرف الشارع مرتدياً ابتسامة مريحة كأنها شجرة لبلاب.

والسالفة يا حبيبتي القديمة تقول : (كان العاشق يتكئ على شجون

أغنية منسية وبجانب جدار نصف مرتفع، يقدم قلبه كل مساء لامرأة مهاجرة في الثواني، لسرعتها تنسى اقتطاف خفقات قلبه وتأخذ هذا الأخير في جيبها وتهجر الرجل ما شاءت، ولأنه يحتفظ بخفقاته دونما قلب استمر بالحياة، ولأن قلبه مغلف بورق جريدة صفراء قديمة مندسة في معطفها الزيتوني، فقد كان يقدم حالته بتواريخ قديمة كلما وضعت أصابعها على ورق الجريدة، وينز قليلاً من دمه المتخثر فيتراكم كبلورات جامدة على صفحة المفقودات.

آخر ما كان منها أن دفعها فضولها لمعرفة حالة القلب الذي اقتنته، فتشت معطفها الزيتوني، ذعرت حينما وجدت جريدة الصباح فارغة، فتحتها بأنامل عجلى، لاحظت أنها النسخة الصباحية، ولاحظت صفحة المفقودات مغبرة قليلاً فانحنت وأطلقت نفخة هواء من فمها أثارت الغبار حولها.. في آخر النهار وضعت النسخة الصفراء من الجريدة في العلية، واليوم التالي قلبت معطفها على الوجه الآخر وارتدته في طريقها نحو باص المدرسة.

أما عنه فقد انسل في الأزقة الضيقة، غريباً، تاركاً قلبه في جريدة، عرف كل شيء عنها، فكانت حياته أصعب، راهن الجميع على استمرار أحدهما: الجسد الذي اتشجت عواطفه بين أوراق الجريدة، أو القلب المخلوع. حينما عاد كانت الأغاني الجديدة تملؤه، ولكنه وجد الجدار نصف منخفض فحسب، وجد سكة حديدية تعوي بصخب كلما اقترب قطار من طرفها، وفي المحطة القريبة انشغل الناس بحجوزاتهم للرحيل، أما عنه .. ربما انشغل

حتى اليوم بفك تعرقات اللبلاب التي امتدت على عرض المكان وفسحته.

وحتى لا تنتهي السوالف بنقطة، تجد الحب منتشرًا كالحساء على الأرض التي ارتفعت حرارتها أكثر، وتجد العشاق ينطفؤون بمعزل عن أضواء الجرائد، وعناوين الكتابة، وإن حدث واهتم أحدهم فهو يُحدِّثُ منذ البداية عن سالفة أضواء انطفأت كالليل أو انطفأت كالتعب.

يا التي مضت ..!

حتى السفر من الطرق القريبة، والتهور قرب خطاطيف الغزل والعواطف المستعجلة يمكن أن ينبت بارودًا، وأنتِ الثقابية القديمة، كما أظنكِ، سيشتعل بكِ المكان ويشعلك.

عندما التقينا لأول صدفة كنتِ امرأة صاخبة مزقت رتابة أول المعرفة وألقيت في وجهي كل أفكاري التي تأخرت في قلب امرأة لم أكن وجدتها بعد، كنت أنا لا غير ذلك الاستسلامي البسيط الذي تفاجأ بصخبك لا أكثر؛ واليوم بعد أن داس الزمن على أول المعرفة أراكِ تعودين أدراجكِ بما يخالف عادات النجوم، وبما لا يتناسب مع طبيعة العطر الثائرة، تمنيت لو سمح لي وضعي بطرح الأسئلة، ولكن دبلوماسيتك تجعل من المستحيل تتبع ذلك التمرد غير المستقر لحالات مشاعرك المترامية من مد الفوضى إلى جزر الإبهار.

إنما كلانا عابران في جنون عابر، لا تسألي كيف أو لماذا .. عابران بفعل ظروفنا القلقة الرافضة لمنطق الاستقرار والثبات، والجنون العابر هو

التقاؤنا في لحظة الصدفة التي هوت بزاوية حادة، حين تذكرناها فيما بعد فكرنا مليّاً :" أنها لربما أخطأتنا يومها" .

عندما كنتُ صغيراً ساهمت هذه المدينة بخلق ذاكرة المكان الذي لا يموت. في يوم كان يعلن عن بؤسه منذ الصباح البارد حاولتُ أن أغيِّر الطريق المألوف الذي أقود خطوي منه إلى المدرسة كل يوم، وحدث الأهم حيث لم ألتق بأحجار سور تلك المدرسة التي أهاب باباها الحديدي الضخم، ضللتُ طريقي، لطمتني الأرصفة والبيوت الطينية وأشعلت الشمس أتون رأسي، تنكرت الشوارع لذلك الطفل الذي ظل يحمل حقيبة المدرسة الصباحية حتى تلقفه قسم شرطة دافئ، في أواخر الليل غفا بداخله، واستيقظ صباح اليوم الثاني في منزله دون أن يسأل سؤالاً واحداً عن أحداث الأمس.

ومن يومها وتلك المدينة تحمل إثم كفري بها، وأنا لا أترك أسئلة عن حالات الضياع التي أجدني متورطًا فيها، إلى حين قابلتكِ على أرضها تشبهين طقسًا من طقوس التوبة المتأخرة.

أتمنى الوصول إليكِ كما تريدين، وأخاف .. لأنني تعلمت الدرس في ذاتها المدينة، ليس من سبيل يقودك لما تريد، غير ذلك الذي تعرفه تماماً.

أوهام وعاطفة

إني استقمتُ ..

فلا أقام بي الحنينُ الغضّ .. لا الصبر استقامْ

ما عدتُ أدري .. هل سأورقُ ليلة أخرى !!؟

وهل تعبِاً أنام !!

هل تستبيح هواي ظلالكِ الحبلى بأصداء الكلام !!؟

هل سوف أتسع المدار لكي أطيرْ ؟

أم سوف أطلع كـ الحمام !!؟

رسالة أخرى:

لنتفق على أننا انتهينا سكراً في قهوة فلاح؛ خبزًا في سلة البريد، لاصقًا على باب القضية. لنتفق على نهاية لائقة، وعلى شوكة قادرة على الوخز، ودمٍ بلون الماء، ستذهبين بعدها للكتابة، وأعود إلى جلسة الورق مع شلة الطاعنين في الحب.

في كفكِ اليمنى خمسة أصابع وخاتم فضة، ومعكِ ارتحل كائن يرهن قلبه بـ(فلس واحد) كلما جاع، وبينهما (الخاتم والكائن) خواء هائل، يعبر الرجال على ضفتيه محملين بالقش كالأحصنة وغارقين في الصهيل.

الأجمل في علاقات الترك، الأجمل على الإطلاق : " أنّ العودة غير مشروطة بصدفة، أو مقرونة بإمكانية تحقق .. كما كانت علاقة اللقاء" .

وهنا يصبح التحليق مرهوناً بمسافات لا تحاسبنا على الأجنحة، ولا تلومنا على نية الطيران، ولا تشكك في إمكانية الرئة.

خفت عليكِ من حزني، ومن تعبي، خفتُ مما تسربه الحكايات لي، ومن الألم الذي يبدو حافياً لا يجد مسافة للعدو سوى على سقف روحي، خفتُ عليكِ الحضور مع رجل تقشر انتباهه ولم يستطع النهوض هذا الصباح من أحجية الهم الطويلة، خفتُ عليكِ أن تكوني معي وأنا لستُ مستعداً للطفو، ولستُ قادراً على الغرق، سيكون الموج الذي انتبه لي، ضعيفًا، خشنًا، على أرضكِ الحريرية، لا تصدقيني حين أحلف بالبحر كلما أحببتك، البحر لا يترك وراءه غير ملحٍ حاد الطباع، إن لم يأكل الجدران جفف البشر الطيبين

مثلكِ.

لا تقولي إنني أسقطتكِ من حسابات هذه الليلة الميتة، أنا احتفظت بكِ خوفًا مني عليكِ، وخوفًا من ملوحة كلماتي كلما لعب الحزن كموتٍ في القلب.

تعرفين أن مبادلة الكراهية شيء صعب وغير ممكن، وأن مبادلة المشاعر إن لم تكن ممكنة فهي أكثر سهولة من التعارف.

سأكون صادقًا معكِ بجملة تخصكِ : " أنا لا أكرهكِ، أقف معكِ على خط الحيادية" .. وكم يكلفني ذلك، تمامًا كما كانت تكلفني مشاعري تجاهك.

وليس من الود أن تتركين الأماكن التي تقتحمينها، تطرقين بابي بعنف قاسٍ، ثم تفرين من الشباك المغلق، مخطئة أنتِ لو تظنين أن ذلك يراكم الحب، إنه يراكم الخيبة، والخيبة تجلب التعب، والتعب وارث الكراهية.. هو الذي يدفعنا للفرار من خط الحيادية.

الآن بإمكاني أن أترك رأسي على صدر أي امرأةٍ قريبة مني بما يكفي لذلك، لا أريد منها حبًا، يكفي أن يكون صدرها دافئاً بما يوحي لي بأن البرد انتهى، وأن كل امرأة تستطيع القيام بوظيفة الأنوثة بكل مهارة.

آخر ما يمكنني أن أقوله: المسافات زائفة، والتقوى لا تتوفر إلا بالكثير من المشقة، هل نستطيع الامتناع عن وفرة الخيانات التي تشق الظلمة في أرواحنا ؟ .. هل نستطيع التمييز بين الحب الحب، وما بين الحب التخلي؟.. هل نستطيع أن ندع الاستعاضة بالآخر حين يغيب أحدنا عن روح خليله ؟.

إن كنتِ تجدين ذلك صعباً .. فلا حاجة بنا للمزيد من الكذب، وإن كان ذلك في نظرك ممكناً سأفتح كل النوافذ، وأطلق كل العصافير من أغنياتي وأكتب لعينيكِ قصيدة لا تنتهي.

متى أحتاج الهواء، وأجد لديَّ رئةً لا تناسب السباحة؟

متى أحفر في السماء زفيراً ساخناً، فيتشكل وجهكِ غيمة أمامي؟

متى أصير سعيداً، والمناسبات تليق بحزين لا علاقة لي بكونه "أنا "؟

متى أتقن التجاهل، فأكبر في شفتيكِ سؤالاً عابراً؟

متى يلزمني إيمان الأنبياء، ولا تتحققين في البال سفرًا أو آية سلوى؟

متى أعرى وأحفى لألتقيكِ، والمتروك منكِ أقل من منديل أنثى ودمعة حبيبتي؟

متى أقول أسئلتي، وتعيشين إجابة الصمت بيننا؟

متى كالعهد يستهلكني فوات السفن، وأطعم الموج مالحاً في اليدين؟

متى أبكي كـ أغنية، وتسيلين كاللحون؟

متى أكفّ عن الحلم، وتتعبين من الحضور؟

متى يهجرني الله، وتصيرين عرسًا كالشهادتين في دمي؟

متى يظلمني الموت، لأستغيث من كل الغيابات التي أتعبتني؟

متى يقتمر السؤال، ليتداجى الحائر الذي أكنه؟

متى تزرعين عطفًا بقربي، لأعلم أن الجنة أبعد من طينة الياسمين؟

متى تكونين، لأكفّ عن كوني؟

متى تقلعين عن اختلاس الحنين، لأموت اشتياقاً بطمأنينة؟

متى تحضرين يُتمي، لأُجرب أبوتي معكِ؟

متى يجد الطريق عثرتين، لأوزع الأقدام علينا؟

متى نخطئ المناسبات، لكي نحلّ ضيوفًا بلاها / بدونها؟

متى الأحاجي تصعب أكثر، لكي نستمر بلا حلّ؟

متى الصباح يجد وظيفة العصافير، ليقلع عن عادة التكرار؟

متى العطر يبرد، ليسخن العالم حول قلبي؟

متى يتكسر الربيع، لأمنحني الفرصة الوحيدة بعيشك؟

متى يكفّ عني اشتباهكِ في الوجود، لأحلّ عليكِ كالوطن المفاجئ؟

متى يصحبني الفرح بلا دعوة رسمية، لأكتب قصيدة عديمة الجدوى أكثر؟

متى تسألين، لأعتقد أنكِ مدهوشة الوجه والذاكرة؟

متى تغرقين، لألفّ بحاري وأطوي المراكب في جيبي؟

متى تذهبين للنزهة، سأنمو عشباً على ضميرك الوادي؟

متى يلبس الخوف وجه الشاعر، كي تشبّ القصيدة ألهى من امرأة؟

متى ترفعين لونكِ، لأخفض منسوب الرمادية من ثيابي؟

متى تقتربين، سأفهم أقلّها انعدام الوزن في المسافات المستحيلة؟

متى بسيطة كنتِ، لأغدو صعباً كـ قبلة؟

متى تفهمين، لأحاول اقتطافكِ من عقلي؟

غـــــــــــــــــصة

يرتطم وعيي بهذا الشيوع الماجن للخوف ؛ الخوف من انكساري لنصفين يصعب إعادة تجميع أحلامهما مرة أخرى، الخوف من ضياع كالمدى ينتهي بي كل مرةٍ أحاول أن نبتديه معا، الخوف من انزلاقي لأول مربعات الخصم على الرقعة بعد استنفاذ خطواتي على ما يخصني منها، الخوف من أن يغدر الحب روحي كعادته التي لم أعتدها حتى بعد أن تيقنتُ منها، الخوف من لغةٍ لا تكفيني بردًا ولا سلامًا كلما فارقني الحظ والدهر والناس واحتجتها معي.

على الطرف المقابل من الذكرى ربما من جهة القلب، كانت ولادة قصيدة تشابه استيقاظ عينيها طالعةً من ورد الصباح وأغنياته كأنها فيروز، وأيضاً ليس ثمة شيء يشكل طرفاً آخر سواي، عند هذه النقطة من تداخلي مع الماضي القريب، القريب جداً كأنه امرأة في حلم، طالما وجدتُ نفسي الآخر، لا دافع لذلك سوى انحيازي البديهي لتفضيل الذكرى على ما أكونه الآن، كل انحياز للماضي هو مفارقة للذات / تواطؤٌ مع الآخر، غالباً ما فضلت هذا الآخر / الذكرى، لسببٍ بديهي أيضاً : هو أنني أبالغ في انتقاء ذاكرتي الجميلة، ذاكرة الجنة كما خطر لي أن أسميها الآن، تلك الذاكرة التي تستجمع من عمري لحظات عامرة بالقهر في حدوده الدنيا، كأن

استذكر طعم كسرة خبز سقطت من انتباه عصفور وتغافلت أسراب النمل الأسود عنها فكانت من نصيبي ذات ليلة باردة دفعني حظي العاثر أن أعيشها مغامرة في ريف قارس الناس والطبيعة يبعد عن غرفتي الصغيرة ما تجاوز كل المسافة التي أعرفها، ما قيمة المسافة هنا – وإن كانت مدّ أنملة – طالما عشتها برداً وليلاً ..؟!.

لا قيمة إلا لفتات الخبز، لحظتها تخليت عن عادتي القبيحة في تفضيل العصافير ونمل الأرض على نفسي، فتافيت الخبز أقل من أن تشبعني.. من أن تدفئني، لم يكن تفضيلي لها إلا لما شكلته من فرائحية الحظ الأخيرة التي ما زال بإمكاني أن أجدها تنتظر منحوساً مثلي في بقعة كالأقاصي تشابه كل مكان صالح للسوء.. كل السوء، باستثناء صلاحيته لولادة إضافية.

وأنا بكل هذا الخوف والذكرى وجدتني أعيشها، كانت تحضرني مباغتة من مكامن دهشة، توقفت – لتكرُرها معي – عن اندهاشي بها، إذ رأيتني مصلوباً على قصيدة سهلة النسيان وبدائية اللغة، عجزتُ عن اجتياز كلماتها المتشابكة، عن فك هوامشها المقيدة إلى المتن بكل حروف الجر، أصعبُ ما فعلته.. أن غادرتُ منتصف الوعي منها طالباً السلامة لكبرياء الرجل المنهك، ما الذي يدعوني للاحتفاظ بهذه الكبرياء ؟! لا أعرف غير أن كبريائي يعني لي آخر ألواني الممكنة بعد أن توقف العالم من حولي على امتداد البصر والذاكرة عن الرسم، قبل أن ينسحب من الفنون جميعها، وعاد يدخل قديماً، حجرياً، بدائياً، لشبكة التواصل الباردة، وهو يتعلق بظفائرها أكثر كلما تركت عليه ملامح السليكون وانتعلت مسامات وجهه وقلبه المعلب وثوانيه المجففة الرائحة.

ثم أعود إليها كلما فجأتني بأغنية (مليحة) التقاسيم، تعزفها بشفتيها دون بذل مجهود لممارسة لحنٍ إضافي عليها، أجدها معلقة في رائحة التقويم وهو يقتحم

الحادي عشر من شباط، وفي قسمات (جوالي الصيني) الذي توقف عن مطالعتها بعد المائة الثانية من رسائلها النصية الشهية، هذا المنتج الصيني لا يتسع سوى لمائتي رسالة نصية، أظنني بعد كل رسالة جديدة مضطرٌ لاختيار رسالة من رسائلها القديمة، أمحوها ثم أسارع لاستقبال الرسالة الجديدة، كل رسالة تمحوها أصابع اختياري، هي رسالة ممحوة للأبد، فقد جعلتُ الصيني ذاكرتي البديلة فيما يخص نصوص الهاتف، وإن حاولتُ أن أدقق الوصف أكثر سأقول إن قلبي كان يتشكل ويأخذ ملامحه نحو اكتماله مع كل رسالة نصية تمحوها أصابع يدي، سأعود إليها ذات يوم مع باقة من أجمل مائتي رسالة، ومع قلبِ رجلٍ ناضج.

كما تكتمل كل الحكايات، عليّ واجب إغلاق نافذة الخوف التي فتحتها في بداية الكلام، ثم واجب آخر بسد باب الريح وذاكرة البهجة التي ما تجاوزت مقدار كسرة خبز سربتني إليها منذ انتصاف الحكاية، لكنّ بي رغبة نسيان الواجبات مهملة ومغدورة.

وأخيراً .. لأستريح تماماً من واجبات الحكاية، أترك للحب والذكرى والخوف والعصافير والعوالم الباردة والغوايات المتخثرة في أطراف الأصابع السائلة وآخر لون أحمله معي مذ توقفت الحياة عن الفنون جميعها، أخيراً أترك هذا كله للسائلين البهجة والراغبين التوبة والطالبين الغفران، أترك حبيبتي كعادتها، وكما أخبرتكم، تفتح باب الدهشة والجةً أقاصي الروح والذاكرة.

محوتُ الرسالة النصية التي اخترتها لتكون آخر رسالة تشكل قلبي،

استقبلتُ رسالتها الأخيرة التي نسجت عليها الكلمات الآتية :

(نَحفرُ حتى أعيُننا في جسد الوطن .. ونعيد القزح الذي رمدته ضلالات السياسة)

أرسلتها لي ذات ثورة

2012

وأحبك

صنعاء – الدقائق الأخيرة في سبت السادس من سبتمبر 2014م

عمار السوائي

– عمار عبدالله مهيوب الضبيع (عمار السوائي)

– فائز بجائزة رئيس الجمهورية للشباب ٢٠٠٢م (القصة القصيرة)

الفهرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة